مُقَدِّمَة

يحلو الحديث عن جنة الخلد بعد عناء من الجهد ومؤثرات الحياة الدنيا التي تحيط بالإنسان بخيرها وشرها وكر ليلها ونهارها وتقلب إصباحها وإمسائها وحرها وقرها ونسيمها وريحها وسلمها وحربها وعدلها وجورها، ففي ذكر الجنة راحة للنفس وأنس وطمأنينة لها وبهجة وحلاوة تحس بها روح المؤمن من صميم أعماقه فتلقي عن كاهله معاناة العيش في دنيا الكدح والصخب والمغالبة وما يصادفه من مشكلاتها التي تؤلمه أو تكدر له صفو الحياة، ففي كل يوم - بعد الصحو من سبات الليل - ترقب لآت مجهول، فغوائل الشر تأتي خطفاً بلا إنذار، ودنوها لا يُدرى بأية ساعة تحل من ليل أو نهار، نصب يتجدد مع كل ساعة تمر وكأنه يقول: يا إنسان أين المفر ﴿...إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا

﴿فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٦] وقد قال عليه الصلاة والسلام ﴿من بات آمناً في سربه وعنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها﴾ فحلاوة الدنيا لحظات وهي سريعة الزوال، تغر الغافل فيركن لها، وقد شبهت في الأثر " بإنسان كان في بئر فتعلق بالحبال ليخرج منها فمر على وعاء من عسل فتوقف عنده وبدأ يأكل منه فشغل بلذيذ حلاوته عما هو فيه من محنة، وفي أعلى البئر فأر أبيض وآخر أسود يقرضان الحبل فإن هو ظل لاهياً بالعسل انقطع به الحبل وسقط في البئر وفقد النجاة وإن تنبه إلى حاله ترك العسل وثابر في الخروج نجا من التهلكة" فالعسل شهوات الدنيا، وصعوده يعني عمله في الخير، والفأران هما الليل والنهار وهما دائبان في المضي والجريان وبحركتهما يمر الزمن وينقضي عمر الإنسان، فالدنيا ماضية بخيرها وشرها فلا

تنتظر أحداً ولا تتوقف لأجله،دأبها الحركة ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] فهي غير وجلة ولا هيابة لما يصيب الإنسان من فرح أو ترح، وعمق جراحها أشد ألماً من تذوق حلاوة أفراحها واغتباطِ سعادتها، لأنها أعمق أثراً في النفس وأبعد غوراً في الفؤاد، ولا يداوي هذه الجراح إلا رسوخ الإيمان في القلب كأقوى ما يكون، وهو الذي يلهم الصبر ﴿ ... وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧] مع موعود الله الصادق للمؤمن بآخرة مرجوة الفلاح وفوز أبدي بسكنى الجنان، وحياة هانئة ونعيم لا ينفد حيث لا صخب ولا نصب، ففيها ينسى الإنسان ما ألم به من لأواء ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنسان: ١٢] ففي الحديث النبوي

﴿يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة ثم يقال له : يا بن آدم هل رأيت بؤساً قط ، هل مر بك شدة قط؟ فيقول : لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط﴾ فعوارض الدنيا لا محل لها في الآخرة، ففي الجنة الصحة والسعادة والشباب المتوقد والحور العين والملذات والأطعمة الفاخرة اللذيذة والأشربة الطيبة المنوعة الهنيئة فما عرف – مدى الدهر – أندى منها مذاقاً ولا أزكى منها رائحة ولا أنعش منها لكل ذي كبد حرى، تهفو لها النفس انشراحاً وبهجة لما ينبعث من ريحها الفواح وأريجها الشذي فيسيل من أثر النشوة اللعاب من قبل أن تداعب ذراتها حبيبات غدده بأطيب مذاق وألذ عبير، وقد وصفها النبي (ﷺ) لأصحابه بأجمل وصف في بلاغة

نبوية أخاذة توسطاً في غير إيجاز مخل ولا إطالة مملة وذلك في جلسة من جلسات تقوية الإيمان والحث على الجهاد، فقال فيما أخرجه ابن ماجه عن أسامة بن زيد: ﴿ألا مشمرٌ للجنة فإن الجنة لا خطر لها ورب الكعبة؛ نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطّرد، وفاكهة كثيرة نضيجةٌ وزوجة حسناءُ جميلة وحُلَلٌ كثيرة في مقام أبداً في حَبْرَةٍ ونُضرة في دور عالية سليمة بهية، قالوا نحن المشمّرون لها يا رسول الله، قال: قولوا إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه﴾ وأخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "خسفت الشمس في عهد رسول الله (ﷺ) فصلى، قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت، قال: ﴿إني أُريت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا﴾ هذا عنقود واحد من ثمار الجنة فلا تسأل بعد عن نعيمها، وفي مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ﷺ) قال: ﴿إن

موسى قال: أيْ رَبّ عبدُكَ المؤمن مقتَّر عليه في الدنيا، قال: فيُفتح له باب الجنة فينظر إليها، قال: يا موسى هذا ما أعددت له، فقال موسى: أي رب وعزتك وجلالك لو كان أقطَعَ اليدين والرجلين يُسحب على وجهه منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير بؤساً قط، ثم قال موسى: أي رب عبدك الكافر توسع عليه في الدنيا، قال فيفتح له باب النار، فيقال: يا موسى هذا ما أعددت له، فقال موسى: أي رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ خلقته إلى يوم القيامة وكان هذا مصيره كأن لم ير خيراً قط» ومن هذا الفأل الحسن، ورجاء الفوز برضا الله، والتنعم بجناته، رأيت أن أكتب في الترغيب بها وأجمع ما يمكن جمعه فيما ورد من محاسنها، فلأجلها يحلو النصب ويستعذب الجهد في الخير ويستغنى عن اللذات الفانية، فما هو إلا دوران دهر ليس بالطويل من عمر الإنسان إلا والمصير على أحد حالين ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣] فما

أربحنا إن فهمنا سر الحياة، ولسنا بهذا بمغبونين أبداً، عمل صالح بزمن يسير لنيل خلود أبدي هانئ، وتلك منحة رب العالمين لعباده المهتدين

وأما النار فيا لشقاء أصحابها ويا لَشِدّةِ ما سيقاسون من حرها وعذابها والخلود فيها.

د.محمد منير الجنباز

obeikandl.com